كلية: كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

مقياس: تيارات فكرية كبرى

السداسي: الثاني

وحدة التعليم: الأساسية

الرصيد:05

المعامل:02

البريد الإلكتروني: linda.zeghlache@univ-msila.dz

هدف المحاضرة الثانية: اكتساب الطالب معارف مبدئية حول التيارات الفكرية.

المحاضرة رقم 2

نشأة التيارات الفكرية وأسباب ظهورها وآثارها على المجتمع

د.زغلاش ليندة

1.نشأة مفهوم التيارات الفكرية

كلمة التيار مأخوذة من الكلمة الإنجليزية**Trend**، أما في العربية فيقابلها كلمة اتجّاه أو توجه أو حركة .لذلك لم تكن هذه الكلمة ذات انتشار أو تداول يذكر في الأوساط الفكرية في الفترة ما قبل القرن الماضي.

ولو اطلعنا على الكثير من التراث النظري لا وجدنا من الكُتّاب من لم يفرق بين بين لفظة التيارات والاتّجاهات والمذاهب وكانت عنده تدل على مسمى واحد. (السايح وحجازي،2005، ص6-8)

ولم يتحدد التاريخ الحقيقي لهذا المفهوم وإدراجه ضمن المصطلحات الفكرية؛ باعتباره وافداً غربياً مع بدء الاختلاط الثقافي بين المسلمين والغرب، إما عن طريق الاستعمار ، أو الاستشراق، أو البعثات العلمية، أو الترجمة، أو التلاقح الاجتماعي إن صح التعبير بين المجتمعات الغربية والإسلامية مع عصر التطور والتكنولوجيا.

ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، برز اتّجاهين في الفكر الإسلامي، في محاولة لاتباع الغرب فيما وصل إليه من حضارة صناعية وفكر طبيعي؛ الأول في محاولة التقريب بين الإسلام والمسيحية، والثاني لمقاومة هذا التقريب والدعوة إلى احتفاظ المسلمين بإسلامهم، وتماسك الجماعة الإسلامية واستقلالها.

وبانتهاء القرن التاسع عشر تم تبلور هذين الاتّجاهين، وأصبح لكل منهما أتباع وأنصار. وفي القرن العشرين عرف الأول باسم" التجديد"، والثاني باسم" الاتجاه إصلاحي " أو اتجاه تجديد المفاهيم الدينية.

- **اتجاه التجديد** :وهذا الاتجاه سار في طريق خدمة المستعمر تقليداً للدراسات الإسلامية في تفكير المستشرقين الغربيين، التي قامت بوحي من الكنيسة الكاثوليكية؛ للانتقاص من تعاليم الإسلام وإهدار قيم تعاليمه.
- **اتجاه تجديد المفاهيم الدينية** :باشرها في مصر تلاميذ الشيخ محمد عبده، وفي الهند قام بها فيلسوف باكستان محمد إقبال.

ومن دراسة التاريخ الفكري الغربي والإسلامي يمكن القول أن بداية نشأة مفهوم التيار الفعلية كانت مع تكون الاتجّاهات الفكرية، والتي يمكن تصنيفها إلى اتّجاهين أساسيين هما أول ما نشأ من الاتجاهات الفكرية ثم تفرعت عنها العديد من الاتجاهات أو التيارات حتى يومنا هذا، وهما:

- الاتجاه العلماني في الغرب .

- الاتجاه العقلاني في المجتمع الإسلامي. (الشمري،2016، ص 25)

2. التيارات الفكرية في المجتمع الغربي

1.2.نشأة التيارات الفكرية في المجتمع الغربي:

عاشت أوربا في القرون الوسطى أوضاعاً اجتماعية، وسياسية، واقتصادية، وثقافية، وعلمية سيئة، وبرزت سلطة رجال الكنيسة وشدة قبضتهم على أتباعهم؛ إذ كانوا بمثابة الدولة الطاغية ولهم صلاحيات دينية وسياسية لا حدود لها، أما من خالفهم أو حاول الخروج عن قبضتهم كان يُرمى بالهرطقة[1]. وينال عقاباً صارماً بالحرق أو بالسجن والتعذيب أو بالقتل بأبشع الطرق .إلى أن جاء القرن الخامس عشر الميلادي؛ فارتفعت المناداة بفصل الدين عن الدولة والذي قادها مارتن لوثر ، ثم جاء بعده كالفن[2] على نفس الاتجاه، كما نادى ديكارت[3] بأن للعقل ميدانه وبهذا عزل الدين عن العلم؛ لأن الكنيسة كانت تقف ضد العلم، كذلك دعا جان جاك روسو[4] إلى الحرية وكانت نتيجة ذلك ثورات تحررية مثل ثورة الفرسان في إسبانيا، وثورة الفلاحين في ألمانيا، والثورة الفرنسية.

ونتيجة لذلك ظهرت العلمانية كدعوة في مواجهة تحديات الكنيسة الكاثوليكية لنهضة العلوم– إلا أنها لم تكن تعرف بمفهوم التيار-ومن هنا كان الفصل بين الدين والدولة.

بعد فصل الدين عن الدولة وعن جميع مناحي الحياة؛ برزت على الساحة الفكرية الغربية عدة اتجاهات (تيارات) ، كالديموقراطية، والرأسمالية، والوجودية، والعصرانية، والليبرالية، وغيرها، والجامع بين هذه التيارات أنها نشأت في محضن واحد، ومتفرعة عن نبع واحد.

---

[1]. أساس التسمية في بداية إطلاقها هو بنز أطلقته الكنيسة على كل مخالف لهم في باطلهم للبطش به. ومعناها عندهم الكذب والفجور والخروج عن الدين والمراد بها الفتك بمن ينسبون إليه هذه التسمية ولاستباحة دمه "فرأي يراه عالم في الكون هرطقة، ومحاولة فهم الكتاب المقدس لرجل غير كنسي هرطقة، وانتقاد شيء يتصل بالكنيسة هرطقة، ومساعدة واحد من هؤلاء أو الرضا عن اتجاهه هرطقة ... وهكذا ."ولقد كان من ضحايا هذا البنز كثير من المفكرين منهم من أحرق حيا ومنهم من أحرقت كتبه ومنهم من سجن وعذب عذابا شديدا مثل:

- "ويكلف "الذي نبش قبره وأحرقت جثته.
- "جون هيس "عميد جامعة براج الذي أحرق حيا.
- "لوثر كنج "وقد عانى الكثير منهم.
- "كلفن."

ثم تتابع المفكرون إلى أن استطاعوا انتزاع سلطة الكنيسة وإخفات أصوات رجالها. (السقاف وآخرون،1433هـ، دص)

[2]. ولد كالفن في نويون بفرنسا، وكان والده محاميًا لكنيسة الرومان الكاثوليك، درس اللغتين الإغريقية واللاتينية في جامعة باريس .وكان من آثار التعليم الذي تلقاه اتّقاد جذوة التحرر الفكري فيه والنظر في النواحي الإنسانية للنهضة الأوروبية، وقد تبنى كالفن أفكار مارتن لوثر حول الكنيسة والعبادة.

[3]. رينيه ديكارت ولد عام 1596 م. بفرنسا، يلقب ب"أبو الفلسفة الحديثة"، كان من الشخصيات الرئيسية في تاريخ الثورة العلمية .وهو الشخصية الرئيسية لمذهب العقلانية في القرن السابع عشر الميلادي، كما كان ضليعاً في علم الرياضيات، فضلاً عن الفلسفة، وهو صاحب المقولة الشهيرة" :أنا أفكر، إذن أنا موجود."

[4].ولد روسو في مدينة جنيف بسويسرا، سنة 1712 م . من أصل بروتستانتي فرنسي، ساعدت فلسفة روسو في تشكيل الأحداث السياسية، التي أدت إلى قيام الثورة الفرنسية .حيث أثرت أعماله في التعليم والأدب والسياسة.

بعدها انتقلت إلى البلاد العربية في مصر وتركيا ولبنان وسوريا ثم تونس، ولحقتها العراق في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، أما بقية الدول العربية التي تأثرت بهذا التيار فقد انتقلت إليها العلمانية في القرن العشرين. (الشمري،2016، ص 26)

2.2.أسباب قيام التيارات الفكرية في المجتمع الغربي:

لقيام التيارات الفكرية في المجتمع الغربي السابق وصفه أسباب حسية ومعنوية من أبرزها ما يأتي: (عواجي،2006، ص66)

- مقارنة الغربيون في تلك الفترة بين ما يعيشونه في ظل حكامهم ورجال دينهم من قهر وظلم وتخلف، وبين الأوضاع التي كان يعيشها المسلمون من تطور وعلم وحضارة، مما زاد شعورهم بالتخلف والغبن الفاحش الذي كانوا يعاملون به.
- قيام مفكرو الغرب بإحياء الفلسفات اليونانية والاستفادة منها؛ لقيام نظريات ومفاهيم جديدة لإغراء الناس بها، كالديمقراطية، والعلمانية الرأسمالية، وغيرها من الأفكار التي أرادوا أن يسدوا بها فراغ بُعدهم عن الكنيسة.
- مكائد اليهود وحبكهم المؤامرات لإثارة الفتن في عامة العالم الغربي لتغيير كل المفاهيم السائدة في ذلك الوقت، وتحطيم كل ما كان معاديا ومؤذياً لليهود.

3.التيارات الفكرية في المجتمع الإسلامي

1.3.نشأة التيارات الفكرية في المجتمع الإسلامي:

نشأت في المجتمع الإسلامي تيارات فكرية متعددة الاتّجاهات، فمنها:

- تيارات فكرية زعمت أنها استقت ما هي عليه من الإسلام وأصوله وتدعو إلى العودة لينابيع الإسلام الأولى.
- تيارات فكرية تعمل خارج نطاق الدين وتدعو لاحتذاء الغرب وتتبع خطاه.
- تيارات أخرى تدعو إلى إسلامية متطورة يفسر فيها الإسلام تفسيراً يطابق الحضارة الغربية، ويبرر أنماطها وتقاليدها.

أول ما ظهرت صورة التيارات الفكرية في العالم الإسلامي كانت في الاتجاه العقلي الذي يقدم العقل على النقل، في جو يهيمن عليه الإيمان بالوحي الذي لا يقبل التشكيك، مما جعل من الصعب اختراق هذا الإيمان. ظهر على يد المعتزلة في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري، حيث نشطت المعتزلة في هذه

الفترة، وتوسع زعماؤها في البحث والتدقيق، حيث طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حين انتشرت أيام المأمون فخلطت مناهجها بمناهج الكلام.

ولعل السبب في ذلك كثرة الأديان والمذاهب في البلاد الإسلامية المفتوحة، من يهودية، ونصرانية، ومجوسية ...إلى غير ذلك من الطوائف التي لا تؤمن بالنقل المتمثل في الكتاب والسنة، مما كان له الأثر في إثارة بعض المسائل البدعية، ومنها بدعة تقديم العقل على النقل، أو مناقشة أصحاب الفلسفات من الأديان الأخرى مع عدم العلم الشرعي العاصم من الانحراف، فأدى ذلك إلى التزامهم ببعض اللّوازم الباطلة أثناء الجدل معهم. وقد بالغ المعتزلة في غلوهم في العقل وتحكيمه في أمور العقيدة الغيبية، وجعلوا العقل هو الأصل، والنقل هو الفرع التابع له؛ فأي حديث يخالف ما تقرر في أذهانهم بحكم العقل ردوه أو حرفوه، فأدى بهم ذلك إلى رد كثير من الأحاديث النبوية الصحيحة والطعن في رواياتها. (الشمري،2016، ص27-28)

2.3.أسباب انتشار التيارات الفكرية في العالم الإسلامي:

إن أعظم أسباب تأثر بعض المسلمين بالتيارات الفكرية التي غزت البلاد والعباد، وحاربت المقدسات والنصوص إنما تعود لأسباب، أبرزها ما يأتي:(عواجي،2006، ص67)

- جهل هؤلاء بدينهم وما يحويه من مفاخر وما يحويه من شمولية كاملة حيث شهد الله تعالى له بهذا في كتابه الكريم بقوله :[الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا]المائدة:3. فمن رد هذه الشهادة فلا شك في جهله وكفره وخروجه عن ربقة الإسلام وجماعة المسلمين وأنت تعلم أن هذا الجهل من هؤلاء يعود إلى أسباب كثيرة إما لتفريطهم وإهمالهم وإما لتربيتهم وإما لاختلاطهم وإما لغير ذلك من الأسباب الكثيرة.
- جهلهم بحقيقة ما تحمله تلك المذاهب الضالة من بؤس وشقاء وأنهم تأثروا بها دون معرفة لحقيقتها المخزية وما تحمله من دمار أخلاقي واقتصادي واجتماعي وديني وكل شيء يمت إلى الطريق الحق والصراط المستقيم فأصبح حالهم تنطبق عليه هذه المقالة "حبك الشيء يعمي ويصم "ولا يمنع أن هؤلاء عملاء مأجورين أيضا ما أكثر أولئك الذين باعوا دينهم وضمائرهم.
- من الأسباب أيضا رغبة هؤلاء في الانفلات والتحلل من كل القيم والأخلاق والعادات الحسنة والفضائل ورغبتهم في العيش على الطريقة الغربية يعيشون كما تعيش البهائم ويأكلون كما تأكل الأنعام دون أن يقف في طريقهم أي مانع شرعي أو عرفي.

- نشاط أعداء الإسلام وقوة عزمهم على إفساد عقائد المسلمين وإخراجهم من دينهم بأنواع الدعايات والمغريات.
- بذل المساعدات المالية وتحبيب الحياة الغربية إلى قلوب المسلمين وتنفيرهم من حياتهم الإسلامية وبث الدعايات ضد الإسلام وحكام المسلمين وعلماء الإسلام قاطبة فقد صوروا لهم الإسلام أنه هو الواقف حجر عثرة في طريق تقدم المسلمين ونهوضهم ووصولهم إلى صنع الطائرات والصواريخ و ... إلخ وصوروا لهم علماء الإسلام أنهم متخلفون وجامدون إلى غير ذلك من أنواع الدعايات الخبيثة التي سرت في عروق كثير من جهال المسلمين.
- تأخر بعض بلدان المسلمين في مناهجهم التعليمية حيث أقصيت كل الدراسات – إلا القليل – التي تبصر المسلم بما يبيته له الغرب على أيدي عملائه من المنصرين والمستشرقين ومن وافقهم ممن يدعي العروبة أو الإسلام.
- الضعف النفسي الذي أصاب المسلمين وانبهارهم ببريق الحضارة الغربية ورغبة المغلوب في تقليد الغالب ومحاكاته لجبر ما يحس به من ضعف الشخصية أمامه.
- الضغوط الشديدة التي يتعرض لها ضعفة المسلمين باستمرار في أكثر من بلد إسلامي وإملاء الكفار لأفكارهم على تلك الشعوب لتقبلها راغبة أو راهبة وغير ذلك من الأسباب الكثيرة التي تضافرت لتهز من كان في قلبه مرض هزا عنيفا. ولكننا على يقين أن الحق سيبقى وأتباعه سيبقون إلى نهاية هذا الكون بإخبار الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم بذلك.

4.آثار مفهوم التيارات الفكرية

لقد ترتب على مفهوم التيارات الفكرية أمور فكرية زادت خطورتها مع مرور الوقت وسريان هذه التيارات في المجتمعات فعم البلاء، ومن أبرز تلك الآثار ما يأتي:(أبو زيد،2006، ص114-117)

- إن المفهوم الغامض للتيارات فتح المجال للخلط بين الثوابت في الدين وبين القضايا المستجدة، وبالأخص أن المنتمين لهذه التيارات في الغالب مختلفي الأديان والطوائف والقوميات.
- أحيا هذا المفهوم بعض المفاهيم الجاهلية كالتعصب للتيار أو الحزب الذي يمثله، وما يتبعه من مفاهيم توحي بالعصبية والتنابز وتتبع العثرات.

- يورث مفهوم التيارات عقدة الاستعلاء الثقافي والتنظيمي؛ ولهذا ترى وتسمع رمي الآخرين بالسطحية وضيق الأفق والخلو من فقه الدعوة؛ بسبب التعصب الفكري وما يفرزه من مفاهيم تضرب في وحدة الأمة وصفّها الداخلي.
- مفهوم التيار مبني على فكر وتخطيط وأطر للجماعة فكِّر بها منشئوه؛ فهذه تحيا بقدر ما يوجد من قناعات بها، وتموت بموت القناعات بها؛ فليس للتيارات صفة الديمومة كما سبق ذكره.
- شمولية هذا المفهوم لكل من ينتسب له من كل الأديان السماوية والوضعية، بل وحتى الملاحدة؛ أذاب حاجز النُّفرة من أهل الأهواء والبدع، بدعوى التسامح والتقارب بين المذاهب الإنسانية.
- التعدد في التكوين البنيوي للتيار هو في الحقيقة تعدد في المناهج الفكرية له، وهذا اضطراب في الحياة الفكرية في وسط الأمة الإسلامية؛ مما ترتب عليه فساد الحياة الاجتماعية، من إثارة الشغب والاضطراب على أنقاض انهيار وحدة الأمة في منهجها الفكري على منهاج النبوة.